1393



صاحب الجلالة الملك يستقبل المشاركين في الملتقى العالمي لخطباء الجمعة

الحمد والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات العلماء :

قبل كل شيء أريد أن أجلس أمامكم — وليس بدعة — على كرسي الاعتراف.

الاعتراف الأول، هو ما حبانا الله سبحانه وتعالى به من شرف وفرح وسرور وغبطة، لأنه سبحانه وتعالى قدر لهذا البلد المسلم السني أن يجتمع في رحابه ولأول مرة في تاريخ الاسلام المرشدون الواعظون العارفون بكتاب الله والحافظون لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والتابعون لما جاءت به جماعة المسلمين وما جاء به التابعون وتابعو التابعين.

الاعتراف الثاني هو انه لأول مرة وبكل تواضع أحس بخجل لأنصب نفسي خطيبا أمام الخطباء، ولكن اسمحوا لي أن لا اسمي كلمتي هاته خطبة بل سأسميها محاضرة أو سأسميها مجموعة طريفة ومتواضعة من نظريات ملك تعلم ما تيسر وما وجب عليه أن يعلم حتى تمكن من أن يخدم بلده وشعبه وكافة المسلمين.

حضرات العلماء :

لقد تتبعنا باهتمام بالغ الموضوعات التي تطرقت إليها ندوتكم، وليس في إمكاننا ولا في طموحنا أن نلم بجميع هذه الموضوعات ولا أن نذكرها أمامكم واحدة تلو الأخرى، ولكن ارتأينا أن نأخذ منها باقة لنستخرج ما نعتبره الأهم، وما نعتبره الضروري، وما نعتبره المسلك والمنهج الذي يجب أن يبقى دائما العمود الفقري لنشاطكم في المجتمع الاسلامي.

من مشاكل المجتمع الاسلامي أن جميع المسلمين لا يعرفون اللغة العربية، وكان تدخلنا لدى المؤتمر الاسلامي بالدار البيضاء تدخلا ركزنا فيه على وجوب تعليم اللغة العربية وإعطائها ولو القليل من الحصص في المدارس الابتدائية والثانوية والعليا بالدول الاسلامية غير العربية حتى يتمكن المسلمون من شيأين.

أولا : أن يخاطبوا الله سبحانه وتعالى سرا وعلانية في جميع حالاتهم بلغة القرآن، وثانيا حتى لا يخلقوا بالضرورة طبقة من الناس تحول دونهم ودون عبادتهم اليومية، وحتى لا يصبحوا يخلقون الرهبانية التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم ونفاها نفيا باتا في المكان وفي الزمان ﴿لا رهبانية في الاسلام﴾.

وهذا الجانب فعلا جانب مهم وحيوي جدا، وعندي في هذا المضمار تجربة خاصة أريد أن أذكرها لكم، لأن ذكر الحبيب حبيب، وهي قصة واقعية وقعت لي مع والدي رحمة الله عليه طيلة سنتين، كان رحمة الله عليه يصلي الجمعة مع جماعة المسلمين الذين كانوا قلة في أنتسيرابي، وكان أكثرهم هنودا وقمريين، وكان رحمة الله عليه يريد أن يعرف الخطبة التي سيلقيها الخطيب قبل يوم الجمعة، علما منه أن الخطيب لا يعرف العربية، والخطيب الذي كان رجلا نقيا محترما جدا حيث انه لم يكن يتقن اللغة العربية التجأ إلى المصنفات والكتب



التي تتضمن خطبا لا تطابق في غالب الأحيان المناسبات ولا الأحداث. ولكن اجتهد وأصاب، وإن كان ذلك الخطيب ميتاً فرحمة الله عليه، وإن كان على قيد الحياة فأرجو له حياة طيبة له ولأهله، اجتهد فأصاب وكان يخطب بالعربية ولو لم يكن يفهمها، وهناك كان والدي رحمة الله عليه يطلب منه هذه الخطبة كل صباح يوم خميس وهي مكتوبة باللغة العربية فيراها ويتصفحها، وبعد ذلك ينادي علي فيقول لي : ترجمها إلى اللغة الفرنسية وأطبعها على الآلة الكاتبة.

فهذه اليد التي ترجو رحمة الله وعونه وتسديده، ترجمت لمدة سنتين وكل جمعة الخطب التي كان يلقيها الخطيب بالعربية، ترجمتها على قدر الاستطاعة إلى الفرنسية.

وحينما كنا نأتي المسجد وقبل الأذان ينادي والدي رحمة الله عليه واحدا من المصلين ممن كان يتقن الفرنسية أحسن من الآخرين، فيعطيه النص بالفرنسية ويقول له اقرأ ما سيقوله لكم الخطيب باللغة العربية، وإذا وقع لكم إشكال فيمكن المذاكرة فيه من بعد، فكان المقرىء أو الراوي يقرأ الخطبة بالفرنسية ، وبعد ذلك يؤذن المؤذن فيصعد الخطيب إلى المنبر ويصلي بنا.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حصافة الرأي الذي ابديتموه في مؤتمركم والذي يتعلق بهذه النقطة الأساسية، ان المخاطب يوم الجمعة يجب أن يكون فاهما ومتفهما للخطبة.

وبهذه المناسبة سأتطرق إلى موضوع آخر له صلة بالشيء الذي ذكرت، ففي يوم من الأيام سألت والدي قلت له ولماذا لا تخطب فيهم، وكان رحمة الله عليه أعرف الناس بالرموز، فقال لست مقيما يعني إن إقامته لم تكن إقامة اختيارية، بل كانت إقامة إجبارية هذا تفسير متفق تمام الاتفاق فيما يخص الظرف الذي كنا نعيش فيه، وإذا كان عندي نظر في قضية الاقامة فالعلماء يفسرون ان شرط الاقامة من شأنه أن يجعل الناس يتطلعون ويتعرفون على ذلك الرجل الذي يصلي وراءه الناس والذي يفسر لهم كلام الله وسنة رسوله، والآن تغيرت الأحوال، فقبل أن يصلنا الخطيب نعرفه من رأسه إلى رجله جيدا ونعرف حالته وأحواله، فأظن ان شرط الاقامة هو قبل كل شيء أن يتعرف هو أي الامام على كل القرية أو البلد الذي عليه أن يعظ الناس فيه، فمثلا إذا كان آتيا من المشرق وكان حنفي المذهب وجاء ليخطب في المغرب وجب عليه أن يعلم قبل كل شيء ان المغرب مالكي، وانه يجب أن يتحاشى في خطبته الخلاف الذي يمكن أن يؤدي إلى شيء من الانزعاج بالنسبة للمنصتين، والعكس كذلك إذا ذهب من عندنا خطيب مغربي عليه أن يتعرف على البلد وعلى المذهب وعلى المستحسنات حتى لا يكون هناك اصطدام بين المبلِّغ والمبلغ إليه، وان كنت شخصيا أعتبر — ونظرا لتطور الأحداث وتطور المجتمع الاسلامي وترابط العالم الاسلامي بعضه ببعض شمالا وجنوبا وشرقا وغربا — إن مسألة المذاهب أصبحت مسألة ثانوية، لأن خطبة الجمعة اليوم يجب أن تتعدى العبادات، ويجب أن تتعدى المعاملات، ويجب على الخطباء أن ينظروا إلى مصير مجموعتهم في بلدهم وفي قارتهم وفي العالم الاسلامي.

فبالنسبة للمشاكل العليا التي تعترضنا والتي تحكم علينا حكماً صارما بأن ندلي برأينا فيها وبأن نتخذ مسؤولياتنا في الرأي وفي الحكم، يجب على جميع المسلمين كيفما كانت مذاهبهم أن تكون وقفتهم واحدة أمام الخطر النووي، وأمام خطر المخدرات.. وأمام الجوع، وأمام عدم التكافل بين الأغنياء وبين الفقراء، ويجب أن يكون نظرهم واحدا فيما يخص الحوار الشمالي الجنوبي، وعليهم أن يكون موقفهم موقفا واحدا بالنسبة للغزو الايديولوجي الذي يحاول أن لا يفتت أعصابنا فقط بل وهياكلنا أيضا.



وأعطيكم المثل.. من كان يظن ولو قبل خمسين سنة أن انجلترا ستصل إلى ما وصلت إليه ؟ في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « لا تقوم الساعة حتى يخسف لطائفة من أمتي، قالوا : متى يا رسول الله ؟ قال إذا لبسوا الحرير» أظن اننا نلبس الحرير جميعا ليست هذه مشكلة «واتخذوا القينات وتكافل الرجل بالرجال والنساء بالنساء» فمن كان يظن أن انجلترا اليوم تقنن، والمشروع موضوع أمام البرلمان، لأن يمكن للرجل أن يتزوج بالرجل وللمرأة أن تتزوج بالمرأة، فكيف أطلع على هذا ؟ المهم رأى ما رأى، وعلم ما علم، ومن ثم تخوف على مجتمعه وتخوف على البشرية كلها حيث انه رسول رب العالمين لكافة العالمين.

فأظن إذن أن المذهبية هنا لا تمت بقرابة ولا بصلة إلا للمعاملات وللعبادات، فعلى كل واحد أن يتشبث بمذهبه، والمغرب متشبث ولله الحمد بمذهب الامام مالك، ويجب أن يبقى متشبثاً به وسيبقى متشبثا به حتى لا يكون عرضة لتيارات متقمصة قميص الاسلام، وفي داخلها الدمار والضلال، ولكن أمام المشاكل الموضوعية أمامنا كدول وكأنظمة هنا لي اليقين أنه لو بعث الله سبحانه وتعالى الأئمة الأربعة لكانوا قالوا كلمة واحدة أمام المشاكل العالمية التي سردتها أمامكم، وفي هذا الميدان يمكن أن يقول الانسان الكثير والكثير.

ولكن لنرجع إلى النطاق العادي للخطيب الا وهو المدينة أو الاقليم لأن الخطيب يمكن أن يخطب يوما في هذا المسجد من إقليمه وفي مسجد آخر من إقليمه، على الخطيب إذا أراد أن يخرج عن طريق الوعظ والارشاد وأن يتطرق إلى ما يعيشه يومياً أو أسبوعيا من مشاكل المجتمع المشاكل السياسية، وهنا أتكلم باسم المغرب لا أريد أن أسطو على دول أخرى، أنا أتكلم على المغرب مثلا : يجب على الخطيب أن يكون نزيها مترفعا كل الترفع عن السياسة المحترفة، وذلك لأن الخطيب حينما يكون فوق المنبر لا معارض له، نحن نسمع هنا في المغرب حينما يروي الراوي الحديث يقول : روى أمامنا مالك، عن أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قلت لصاحبك أنصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت، ويزيد وفي حديث آخر ومن لغا فلا جمعة له، ففيما إذا لغا أحد المصلين فصلاته باطلة، وفضل صلاة الجمعة معروف عند الجميع. فمن ثم السيف ذو حدين، يجب على الخطيب أن يكون في خطبته غير متحيز لجانب دون جانب وغير مثير لمشكلة حزبية أو مشكلة طائفية أو لمشكلة اختيار جماعة قروية اختيارا جبائيا مثلا دون اختيار آخر والا فإن اللعبة لن تبقى جارية، والقواعد تكون قد انتكهت، ويصير الخطيب دكتاتوريا لا معارضة له. وقد وقع مراراً في مساجدنا قديما وحديثا وأخيرا وفي مساجد الدول الاسلامية أن بعض الناس عندما سمعوا من بعض الخطباء كلاما أغضبهم أو لم يشف غليلهم أو ظهر لهم كأنه كلام متحيز منقول عن صحيفة أو مذهبية أو ايديولوجية خرجوا وهم يقولون «اللهم ان هذا منكر» ومنهم من أعاد صلاته.

من هنا نصل إلى نتيجة أخرى وهي أن دور الخطيب يجب أن يكون دور المهدىء للأعصاب، فحينما يقرر بلد ما أن يختار نظام الحوار، الحوار الشرعي، وأن يجعل من ذلك الحوار الشّرعي والمشروع دستورا يتيح للجميع أن يبدي رأيه في إطار القانون والأمن العام، أصبح آنذاك في هذا المجتمع رواد وقواد فكر عليهم كلما اضرمت نار إن يطفئوها بلباقة وعلم وحنكة وآيات من كتاب الله وأحاديث من سنة رسوله، فعلى الخطباء كذلك أن يكونوا على علم بالاختيارات المطروحة باستثناء الاختيارات التي لا نزاع فيها بالطبع كالنظام المختار من لدن الدولة والشعب، تلك التي أصبحت اختيارات تفرض نفسها نظرا للمجال الحر والمفتوح أمامها، فعلى الخطباء إذن أن يكونوا عناصر للتهدئة، وأن لا يكونوا عناصر يؤدي عملها للفتنة والشغب، نية الخطباء تكون دائما صالحة. ولكن هناك من يحرف الكلام ويحرف المعنى ويستبدل المفعول بالفاعل ويصبح كلام ذلك الرجل الذي كان كلاما وسطا متعقلا كلاما يدفع الناس إلى ما لا تحمد عقباه.

أظن شخصيا — حضرات العلماء المحترمين — إنه في إمكاني أن أقول أو أن أزيد في كلمتي هاته، لأن كل علم محدود وعلمي في هذا الباب محدود جدا حاولت أن أتطرق إليه من باب المواطن الذي يكون جالسا أمام المحراب ينصت إلى الخطيب، أن أتطرق إليه من زاوية المواطن الذي له نية حسنة في العالم وفي الخطيب المرشد والمصلح، ومن زاوية المسؤول مسؤولية أمير المؤمنين في هذا البلد الأمين لأعطي نظري وأشرح فكرتي.

وبكل تواضع يجب علي أن أدلي بنصيحتي، ويجب أن يكون خطابي هذا مثل ما يستحسن من خطبكم، وهو أن يكون قصيرا وأن لا يكون طويلا حتى لا نكون فتانين في تراويحنا ولا في صلاتنا ولا في خطبنا، وخير الكلام ما قل ودل.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يثيب كل واحد منا على قدر اجتهاده وحسن نيته وغيرته على دينه، لأن ديننا ليس دينا فقط، ديننا دين وفضيلة وسلوك وتعايش وأخلاق ومثال، مثال التسامح والتساكن والرحمة والضيافة والأخذ بيد الضعيف، ولتجنب القهر والجبروت، علينا أن نبقى أولائك المسلمين كما أراد الله سبحانه وتعالى أن نبقى وكما علمنا نبيه صلى الله عليه وسلم أن نبقى.

ومرة أخرى أريد أن أقول لكم : إنني أحس أكثر من غيري بهذه الخطوة التي حبانا الله بها في المغرب، حيث ان أول اجتماع لكم كان في بلدكم، وهو كجميع الأعمال بذرة والبلد الصالح الطيب يؤتي أكله بإذن الله والله يبارك لمن يشاء، صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

وبعد الخطاب الملكي قدم أمام مسجد مكة المكرمة لجلالة الملك توصيات الملتقى الأول لخطباء الجمعة.

السبت 27 رجب 1407 — 28 مارس 1987

(*) **انتسيرابي** مدينة وحامة بجزيرة مدغشقر، كان جلالة الملك المرحوم محمد الخامس وأسرته منفيين فيها سنة 54 — 1955 على عهد الحماية الفرنسية

(*) يشير جلالته إلى ما يشترطه الفقهاء في الامام من أن يكون مقيما، ولجلالة الملك تأويل للاقامة هو الذي يذكره.